ريح الحجاز

خرج إلى دمشق الشام، فلما طالت غيبته قال:

[الكامل]

رِيحَ الحِجَازِ بحَقّ مَنْ أنْشَاكِ
رُدّي السّلامَ وَحَيّي مَنْ حَيّاكِ[١]
هُبّي عَسى وَجْدي يَخِفُّ وَتَنطفي
نيرَانُ أشْوَاقي ببَرْدِ هَوَاكِ[٢]
يا رِيحُ لَوْلا أنّ فيكِ بَقِيّةً
مِنْ طيبِ عَبْلَةَ متُّ قبلَ لِقاكِ[٣]
كَيْفَ السُّلوُّ وَما سَمِعْتُ حَمَائماً
يَنْدُبْنَ إلا كُنْتُ أوّلَ باكي[٤]؟
بَعُدَ المَزَارُ فَعَادَ طَيْفُ خَيالها
عَني قِفَارَ مَهَامِهِ الأعْنَاكِ[٥]

(١)، (٢) يخاطب الشاعر ريح نسيم الحجاز الرقيق، متمنياً عليها أن تردّ السلام وتحيّي من بدأها بالسلام، مقسماً عليها بحقّ خالقها أن تهبّ فتبعث في نفسه أملاً جديداً يخفّف شوقه إلى من أحبّ وتبرد نيران حبّه في مسرى الهواء البارد، وأن تحمل كلمة فيها الأمل، كلمة حبّ مطمئنة.

(٣) إنها ريح ليست كسائر الرياح، بل هي ريح طيبة، فيها روح الأنوثة وطيب عبلة، ريح تبعث الحياة في كلّ كيان الشاعر، فلولاها لعُدّ من الأموات.

(٤) يتساءل الشاعر عن السرور والأمل الحيّ؛ يتلاشى ذلك الشعور إذا ما سمع الحمائم رمز الرقّة يندبن، وقد فقدن أليفاً، فسرعان ما تنهمر دموعه لهجر من يحب له.

(٥) الأعناك: بليدة في نواحي حوران في بلاد الشام. آماد وآماد تفصل بين =

يـا عَـبْـلَ! مـا أخْـشَـى الـحِـمَـامَ وَإنّـمَـا
أخْـشَـى عَـلـى عَـيْـنَـيْـكِ وَقْـتَ بُـكـاكِ[١]
يـا عـبـلَ! لا يـحْـزُنْـكِ بُـعْـدي وَابـشِـرِي
بـسَـلامَـتـي وَاسْـتَـبْـشـرِي بـفَـكـاكـي[٢]
هَـلّا سَـألْـتِ الـخَـيْـلَ، يـا ابْـنَـةَ مـالـكٍ!
إنْ كـانَ بـعـضُ عِـدَاكِ قَـدْ أغـرَاكِ[٣]؟
يُـخْـبـرِكِ مَـنْ حَـضَـرَ الـشّـآمَ بـأنّـنـي
أصْـفَـيْـتُ وُدّاً مَـنْ أرَادَ هَـلاكـي[٤]
ذَلّ الأُلـى احْـتَـالُـوا عَـلـيّ وَأصْـبَـحُـوا
يَـتَـشَـفّـعُـونَ بـسَـيْـفـيَ الـفَـتّـاكِ[٥]
فَـعَـفَـوْتُ عَـنْ أمْـوَالـهـمْ وَحَـرِيـمـهـمْ
وَحَـمَـيْـتُ رَبْـعَ الـقَـوْمِ مِـثْـلَ حِـمـاكِ[٦]

= الشاعر ومن أحبّ، وفجأة تضيق المسافات، فإذا بالطيف، طيف الحبيبة يأتي على غير ميعاد زائراً.

(١)، (٢) يخاطب الشاعر عبلة مطمئناً أنه لا يخاف من الموت، ولكن خوفه يكمن في حالتها لبعد ما بينهما، فإذا بدموعها تنحدر على خديها الجميلتين، وهذا ما يُؤلمه، لقلقها عليه، وعليها ألّا تحزن فالفرج قريب، فسوف تعود إليه حرّيته ويُفك أسره ولتستبشر بسلامته.

(٣)، (٤) يطلب الشاعر بإلحاح من ابنة مالك أن تستعلم عن حاله، في حال سمعت ممن يعمل على الإيقاع بينهما بما ينمّ به إليها، وإن أرادت معرفة الحقيقة عليها أن تستمع قول من عرّج على بلاد الشام لتعلم يقيناً أنه صافي الودّ، يعمر قلبه حبٌّ من عمل على التخلص منه، ويقصد بذلك والدها مالكاً الذي طلب منه مهراً، لا يقدر عليه أحد، من النوق العصافيرية.

(٥)، (٦) لم ينفع هؤلاء إبعادهم لي، حتى نزلت بهم المصائب والويلات =

وَلَقَدْ حَمَلْتُ عَلى الأعاجِمِ حملةً
ضَجّتْ لَها الأمْلاكُ في الأفْلاكِ[١]
فَنَثَرْتُهُمْ لما أتَوْني في الفَلا،
بِسِنَانِ رُمْحٍ للدِّمَا سَفّاكِ[٢]

لولا حب عبلة

[الطويل]

لَعَلّ تَرَى بَرْقَ الحِمى وَعَساكا
وَتَجْني أرَاكاتِ الغَضَا بِجَنَاكا[٣]

= فذلّوا، وهنا تذكروا من يمنع عنهم ما هم مقبلون عليه، فإذا بهم يستنجدون بسيف الشاعر الفتّاك؛ والعفو عند المقدرة، والشاعر لا يحمل ضغناً لبني قومه، فردّ عليهم أموالهم وأعاد نساءهم مكرّمات معزّزات، وخلص الديار من الأعداء؛ كلّ ذلك استرضاءً لعبلة، وهو الذي يحميها بالروح ومهجة فؤاده.

(١)، (٢) يصف الشاعر مأثرته؛ فقد هاجم الأعاجم الفرس هجمته المشهورة حتى شتّت شملهم، ومزّقهم شرّ ممزّق، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على الفتك به في الصّحراء، وكلّ منهم متسلح برمح اعتاد سفك الدماء، فإذا بهم يقعون ضحيّة ما عزموا عليه، فإذا بالملائكة في السماء تضجّ بسبب فعله، وفكرة الملائكة والضجيج والسماء فكرة إسلامية، فقد ضجّت الملائكة فعلاً يوم أحد عند استشهاد حمزة أسد اللَّه رضي اللَّه عنه، وهذا ما يحمل على نحل القصيدة.

(٣) أراكات، واحدها أراكة: ضرب من الشجر يُستاك بأغصانه. الغضا: وادٍ بنجد. الجنى: المحصول الزراعي. يأمل الشاعر أن يرى برقاً مقبلاً من الديار فيتوسّم فيه نسيم عبلة ويتخيّل صورتها، وفي ذلك الوادي، وادي =